واحتلت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الأموي وكان عبد الحميد الكاتب (– ١٣٢هـ) ممن انتهت اليهم رياسة الكتابة في ذلك العهد . وكان ابن المقفع (– ١٤٢هـ) ممن أثر في البلاغة ونقلت عنه كثير من الأقوال فيها . ولكن أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (– ٢٥٥هـ) من أكثر الكتّاب تأثيراً في البلاغة، وقاله بما ذكره في كتبه ولا سيما «البيان والتبيين» و «الحيوان» من فنون بلاغية وأساليب بليغة وأصبحت دراسته لمسائلها أساس البلاغيين وإن كان لم يبحثها بحثاً علمياً يقوم على التحديد الدقيق والتقسيم المنطقي الذي عرفته كتب المتأخرين .

ومن الكتّاب الذين أثروا في البلاغة قدامة بن جعفر (– ٣٣٧هـ) مؤلف «نقد الشعر» .

وابن وهب الكاتب صاحب «البرهان في وجوه البيان» وهو الكتاب الذي قسم منه باسم «نقد النثر» ونسبه إلى معاصره قدامة بن جعفر.

وأبو هلال العسكري (– ٣٩٥هـ) مؤلف «كتاب الصناعتين» أي : صناعة الشعر والنثر.

وابن ناقيا البغدادي (– ٤٨٥هـ) مؤلف «الجمان في تشبيهات القرآن».

وضياء الدين بن الأثير (– ٦٣٧هـ) صاحب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» و «الجامع الكبير» و «الاستدراك».

وشهاب الدين محمود الحلبي (– ٧٢٥هـ) صاحب «حسن التوسل إلى صناعة الترسل».

المتكلمـــون :

وأثر المتكلمون في نشأة البلاغة وتطورها، والمتكلمون أصحاب الصناعة الكلامية في بحثهم القرآن الكريم وتدليلهم على اعجازه واستنباط المقاصد منه والبلاغي يوجد وقد ظهر أثرهم مبكراً، وكان للمعتزلة أظهر فرقة ألفت في البلاغة وتعمقت في فن

القول: ولعل صحيفة بشر بن المعتمر (– ٢١٠هـ) من أقدم الآثار في ذلك (١)، وقد تحدث فيها عن فن القول وأوضح فيها كثيراً من القضايا التي أصبحت عمدة البلاغيين والنقاد، من ذلك كلامه على الإستعداد للإنتاج الأدبي والإهتمام بتخير اللفظ والمشي وتحديد المنازل التي يمر بها الأديب، وأولها منزلة البليغ التام الذي يكسو عبارته جمالاً يرجع إلى رشاقة الألفاظ وعذوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني واتساقها. وثانيها منزلة من لم تسعفه طبيعته بالألفاظ الملائمة والقوافي الجيدة والمعاني الرائعة، وعليه أن يتأنى ويؤجل الكتابة إلى وقت نشاطه وفراغ باله، فإن كان له في الأمر طبيعة حقاً واتاه الكلام وانثالت عليه الألفاظ والمعاني. وثالثها: منزلة من شحّ طبعه ونضبت ينابيع القول عنده، وهذا لايأتي بجيد الكلام مهما حاول أو تكلف، يوجريٌ به أن يترك صناعة الأدب ويتحول إلى غيرها. وفي الصحيفة حديث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمطابقة من أهم شروط البلاغة.

* ومن المتكلمين الذين شاركوا في البلاغة وفن القول واصل بن عطاء (– ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (– ١٤٤هـ) وسهل بن هارون (– ١٧٣هـ) والجاحظ الأديب المعتزلي. وقد طبع هؤلاء وغيرهم البلاغة بطابع عقلي يعتمد على الاستدلال والدقة في التحديد والتقسيم.

وألف بعض فلاسفة المسلمين في البلاغة والنقد، ولكنهم كانوا يغرفون من بحر أرسطو طاليس، ويلخصون كتابيه «الشعر» و «الخطابة». فقد اختصر كتاب الشعر الكندي (– ٢٥٢هـ) ولخصه أبو نصر الفارابي (– ٣٣٩هـ)، ولابن سينا (– ٤٢٨هـ) رسالة في «معاني الشعر»، ولابن الهيثم (– ٤٣٠هـ أو ٤٣٢هـ) رسالة في «صناعة الشعر»، ولابن رشد (– ٥٩٥هـ) تلخيص لشعر أرسطو.

* ولكن الذوق العربي رفض مثل هذه الدراسات لأنها لاتحكّم الذوق في الأمر وقد صرح الجاحظ بذلك فقال :

---

(١) الصحيفة في البيان ج ١ ص ٣٥ وكتاب الصناعتين ص ١٣٤.